

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بديع الزمان النورسي رحمه الله ونظرية النظم عنده

هادي رضوان

المقدمة:

لا شك في أن الأستاذ النورسي كان من الشخصيات الإسلامية الفذة، ومن العلماء المجاهدين والأولياء الصالحين، آتاه الله خيرًا كثيرًا وبارك في حياته من كل ناحية حتى استطاع أن يدرك روح عصره ومتطلباته كما أمدّه الله تعالى بالهمة والاستقامة ليحمل كل هموم المسلمين في عصره، فقد عاش النورسي رحمه الله في عصر تعرّض فيه أهل الإسلام لهجوم فكري عنيف، وقد وفق الله تعالى الأستاذ النورسي أن يواجه بنبوغه وصدقه وإخلاصه تلك المهجمات الجارفة، وأن يدحض تلك الأفكار الفاسدة والفلسفات المتناقضة، وأن يدافع عن الإسلام والقرآن بالإيمان الكامل وأن يعيد بيان الوجوه المختلفة لإعجاز كتاب الله بعبقريته الفائقة. فإنه في المرحلة الأولى من حياته - تلك المرحلة التي سمي الأستاذ فيها نفسه سعيداً القديم وستحدث عنها - حاول أن يدرس العلوم الإسلامية والإنسانية دراسة وافية شاملة وأن يطلع على آثار الأدباء والبلاغيين من أمثال الجاحظ والزمخشري والرازي وأبي السعود والسكاكي والجرجاني وغيرهم، ثم بنى على أساس هذه الثقافة الغنية المتعددة الأطراف بناء متكامل الأركان قوي الدعائم يتجلى في المرحلة الثانية من حياته وفي شخصية سعيد الجديد.

ومن بين هؤلاء العلماء الأفاضل أعجب النورسي - كغيره من علماء السلف - بإمام البلاغة وعلامة الأدب عبدالقاهر الجرجاني أيما إعجاب، فأسس عمله القيم في تفسير القرآن على نظرية النظم التي بيّنها الجرجاني وشرحها وأكد على أهميتها في كتابه دلائل الإعجاز ثم في أسرار البلاغة. وكذلك كان الأستاذ النورسي أكد على هذا الوجه من الإعجاز في رسائل النور - وخاصة في كتاب إشارات الإعجاز - وكان يريد أن يفسر القرآن على أساس هذا الاتجاه البلاغي، ولو قدر له أن يكمل تفسيره للقرآن لقدم

تفسيرًا بلاغيًا متكاملًا في عشرات المجلدات.

ونحن في هذه الدراسة نريد أن نبحت عن جوانب من جهود النورسي التفسيرية المؤسسة على نظرية النظم، ونحن نعلم بأن الإمام الجرجاني كان إمام البلاغة ومؤسس نظرية النظم فيها، أما الأستاذ النورسي فكان داعيًا إلى القرآن مفسرًا له فاستطاع أن يضع أمام مسلمي بلده في ظروف عصره طريقًا علميًا مقنعًا للتعامل مع القرآن الكريم.

وتشتمل هذه الدراسة على مطلبين نبحت في أولهما عن حياة النورسي وجهوده وآثاره، وفي ثانيهما عن نظرية النظم عنده.

**المطلب الأول: نبذة عن حياة النورسي وآثاره<sup>(1)</sup>:**

نستطيع أن نقسم حياة بديع الزمان النورسي في ضوء ما قاله في سيرته الذاتية إلى مرحلتين:

**المرحلة الأولى: سعيد القديم من ميلاده حتى نفيه إلى بلدة بارلا:**

ولد سعيد النورسي في قرية "نُورس" الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام 1294هـ/ 1877م من أبوين صالحين كانا مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح، ونشأ في بيئة كردية ينجح عليها الجهل والفقر، مثل كثير من بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وإلى قريته "نُورس" يُنسب. وقد بدت عليه أمارات الفطنة والذكاء منذ طفولته، ولما دخل الكُتَّاب وتلمذ على أيدي المشايخ والعلماء بهرهم بقوة ذاكرته وبداهته وذكائه ودقة ملاحظته وقدرته على الاستيعاب والحفظ حتى نال الإجازة العلمية وهو ابن أربع عشرة سنة بعد أن تبخر في العلوم العقلية والنقلية بجهده الشخصي، فقد حفظ عن ظهر غيب، ثمانين كتابًا من أمهات الكتب العربية كما حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر من حياته الخصبية الحافلة. ثم عكف على دراسة العلوم العصرية أو العلوم الكونية الطبيعية، حتى غدا عالمًا فيها ومناظرًا فذاً للمختصين بها وصار له رصيد ضخم من الأفكار والعلوم، مكَّنه من الانطلاق من مرتكزات علمية سليمة.

وفي عام 1894م تناهى إلى سمعه أن وزير المستعمرات البريطاني "غلاستون" وقف في مجلس

1- ينظر: بديع الزمان سعيد النورسي، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط 5، 2008م، وهذا الكتاب يبحث عن حياة النورسي وجهوده في أكثر من خمسمائة صفحة. هذا وكتب عبد الله طنطاوي ملخصًا من حياة النورسي وهو موجود في مكتبة الإمام بديع الزمان النورسي على موقع: [www.almaktabah.net](http://www.almaktabah.net) واقتبست هذه النبذة منه مع التصرف ومقارنًا مع كتاب سيرة ذاتية.

العموم البريطاني، وهو يحمل المصحف الشريف بيده، ويهزه في وجوه النواب الإنكليز، ويقول لهم بأعلى صوته: "ما دام هذا الكتاب موجوداً لن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولن تبقى هي في أمان. لذا لا بد لنا من أن نعمل على إزالته من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به". فصرخ العالم الشاب سعيد النورسي من عمق أعماقه: "لأبرهننّ للعالم أجمع أن القرآن العظيم شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها". سافر النورسي إلى إستانبول عام 1896م ليقدم مشروعاً لإنشاء جامعة إسلامية حديثة في شرقي الأناضول - بلاد الأكراد - وأطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" لتكون على منوال الجامع الأزهر في مصر، غير أنها تختلف عن الأزهر بتدريس العلوم الحديثة إلى جانب العلوم الشرعية والعربية، وذلك من أجل النهوض بالأكراد المسلمين الذين يفتك بهم الجهل والفقر والتخلف. ولكن النورسي لم يلق قبولاً من السلطان عبد الحميد ومن وزير داخلته. وبعد ذلك أسس النورسي "الاتحاد المحمدي" في سنة 1909م ردّاً على دعاة القومية الطورانية والوطنية الضيقة، كجمعية الاتحاد والترقي وجمعية تركيا الفتاة. وفي سنة 1911م سافر إلى دمشق، وألقى في المسجد الأموي خطبته الشهيرة باسم الخطبة الشامية التي وصف فيها أمراض الأمة الإسلامية ووسائل علاجها. في 13 / 8 / 1918م عُيِّنَ عضواً في دار الحكمة الإسلامية التي كانت تضم كبار العلماء والشعراء والشخصيات في إستانبول. وقررت له الحكومة مرتباً، ولكنه ما كان يأخذ منه إلا ما يقيم عوده، والباقي ينفقه على طباعة رسائله العلمية التي كان يوزعها مجاناً.

#### المرحلة الثانية: سعيد الجديد من النفي إلى الوفاة:

في عام 1923م غادر النورسي مدينة "أنقرة" إلى مدينة "وان" حيث انقطع للعبادة في إحدى الخرائب المهجورة على جبل "أرك" ولم يدر شيئاً عن الأعاصير التي تنتظره. وجاء من يدعوه إلى تأييد ثورة الشيخ سعيد بيران<sup>(2)</sup> ضد الحكومة الكمالية العلمانية المعادية للإسلام فأبى تأييدها، ولكن هذا الموقف وذلك الانقطاع للعبادة، لم ينجياه من غضب حكومة أنقرة التي أمرت بالقبض عليه ونقله إلى إستانبول، ومن ثمّ إلى مدينة "بوردور" ثم إلى "بارلا" في جوبارد من شتاء عام 1926م. وفي بارلا بدأت المرحلة الثانية من حياة بديع الزمان، وهي المسماة مرحلة سعيد الجديد وقد كانت حافلة بالاتهامات والملاحقات والمطاردات والسجون والمعتقلات والمحاكمات والمنافي، مما لم يمر في حياة إنسان وهو صابر محتسب، يدعو

2- ثورة الشيخ سعيد بيران، هي ثورة قامت في جنوب شرق تركيا ضد سياسة التريك والتعسف التي انتهجتها حكومات مصطفى كمال أتاتورك المتعاقبة بحق الأقليات. (يراجع: مجلة الوعي، العددان، 234-235، رجب وشعبان، 1427هـ، آب وأيلول 2006م).

إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، شعاره في ذلك: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة". أمضى النورسي في "بارلا" ثماني سنوات ونصف السنة، وفي هذه المرحلة كان يؤلف ويكتب باللغة التركية المكتوبة بالحروف العربية، ويأمر تلاميذه بالكتابة بالحروف العربية حفاظاً عليها من النسيان، فقد كان أتاتورك قد ألغى الكتابة بالحروف العربية واستبدل بها الحروف اللاتينية. وعندما أطلق سراحه في الخمسينيات، كان في السابعة والسبعين من العمر، وكان يقول لزملائه أو الذين يرغبون في زيارته: "كل رسالة - من رسائل النور - تطالعونها، تستفيدون منها فوائد أفضل من مواجهتي بعشرة أضعاف". وكان قد طلب أكثر من مرة من تلاميذه طلباً النور ألا يربطوا الرسائل بشخصه الضعيف فيحطوا من قيمتها؛ لأن للإنسان أخطاء وعيوباً قد سترها الله عليه. وقد توفي بديع الزمان النورسي في الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك عام 1379 هـ الموافق للثالث والعشرين من شهر آذار 1960 م ودفن في مدينة "أورفه".

#### آثار النورسي:

للنورسي آثار كثيرة قيمة تتحدث عن المقاصد الأساسية في القرآن ملائمة مع روح العصر، باللغتين العربية والتركية، حققها وترجم التركية منها إلى العربية إحسان قاسم الصالحى وطبعت في مجموعة في تسع مجلدات، عنوانها: كليات رسائل النور وهي تتضمن ما يلي:

- 1- الكلمات: وهي مشتملة على ثلاث وثلاثين كلمة.
- 2- المكتوبات: وهي مشتملة على تسعة وعشرين مكتوباً.
- 3- اللمعات: وهي مشتملة على إحدى وثلاثين لمعة.
- 4- الشعاعات: وهي مشتملة على خمسة عشر شعاعاً.
- 5- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: كتاب مؤلف باللغة العربية وهو يفسر سورة الفاتحة وثلاثاً وثلاثين آية من سورة البقرة. والنورسي في هذا الكتاب درس نظرية النظم دراسة متقنة وطبقها في تفسيره للآيات تطبيقاً تفصيلياً شاملاً من حيث المباني والمعاني ومن حيث المعارف اللغوية والعقلية والذوقية.
- 6- المثنوي العربي النوري: وهو كتاب مشتمل على رسائل عربية. ولأن فعل هذا الكتاب في القلب والعقل والروح والنفس - كما قال محقق الكتاب - يشبه فعل المثنوي لجلال الدين الرومي المشهور، سماه النورسي بـ: "المثنوي" ولأجل تمييزه عن المثنوي الرومي، سماه: المثنوي العربي ولأنه أساس لرسائل النور وغراس لأفكارها ومسائلها، أضيف إليه "النوري" فأصبح: المثنوي

## العربي النوري.

- 7- الملاحق في فقه دعوة النور: وهي عبارة عن مجموعة مكاتيب جرت بين الأستاذ النورسي وطلابه الأوائل. وطابعها العام توجيهي إرشادي يبين أهمية رسائل النور ومنهجها في الدعوة إلى الله في هذا العصر. وهي تتضمن ثلاث كتب مستقلة هي: ملحق بارلا، ملحق قسطنطيني، ملحق أمير داغ.
- 8- صيقل الإسلام أو آثار سعيد القديم: وهذه المجموعة تشتمل على: محاكمات عقلية في التفسير والبلاغة والعقيدة، قزل إيجاز في المنطق، تعليقات على برهان الكلنبوي في المنطق، السانحات، المناظرات، المحكمة العسكرية العرفية، الخطبة الشامية، الخطوات الست. وهذه المجموعة قسم من آثار سعيد القديم فقط.
- 9- سيرة ذاتية: تبحث عن حياة النورسي من ميلاده إلى أن توفاه الله وتغمده برحمته ورضوانه.

## المطلب الثاني: نظرية النظم عند النورسي:

يشير الجرجاني في دلائل الإعجاز<sup>(3)</sup> إلى أن الوصف المعجز في القرآن ينبغي أن يكون وصفاً قد تجدد بالقرآن وأمرًا لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله. وإذا كان كذلك فقد وجب أن يعلم أنه لا يجوز أن يكون في الكلم المفردة ولا في معاني الكلم المفردة ولا في ترتيب الحركات والسكنات ولا في المقاطع والفواصل ولا في الاستعارة والمجاز وغيرها.

وربما كانت الخلافات الكلامية والعقدية من بواعث ترغيب الجرجاني إلى البحث عن هذه النظرية. فإن كثيرًا من المعتزلة - ولا كلهم - كانوا من اللغظيين القائلين بأن الفصاحة إنما تظهر في ضم الكلمات بعضها إلى بعض. والجرجاني يرد عليهم ويثبت أن عباراتهم تستلزم القول بأصالة المعنى أولاً وقبل كل شيء وذلك أنهم قالوا: "إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة. فقولهم: "بالضم" لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنيهما؛ لأنه لو جاز أن يكون لمجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة، لكان ينبغي إذا قيل: "ضحك خرج" أن يحدث في ضم "خرج" إلى "ضحك" فصاحة. وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخي معنى من معاني النحو فيما بينهما. وقولهم "على طريقة مخصوصة"

3- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة

الخانجي القاهرة، 2000م، ص 385-392.

يوجب ذلك أيضًا؛ وذلك أنه لا يكون للطريقة - إذا أنت أردت مجرد اللفظ - معنى. وهذا سبيل كل ما قالوه إذا أنت تأملتته، تراهم في الجميع قد دفعوا إلى جعل المزية في معان في النحو وأحكامه من حيث لم يشعروا؛ ذلك لأنه أمر ضروري لا يمكن الخروج منه<sup>(4)</sup>.

فيستفاد من كلام الجرجاني هذا، أمور. منها: لا يجمع أمر غير توخي معاني النحو شمل الكلمات المتفرقة في الكلام، ومنها: أنه لا بد عن ترتيب المعاني في النفس أولاً وترتيب الألفاظ في النطق ثانياً، وهذه هي عملية النظم. ومنها أن النظم وتوخي معاني النحو ليسا بمعنى إهمال الألفاظ في الكلام ولا بمعنى "إخراج ما في القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو به معجز"<sup>(5)</sup>. غاية الأمر أن هذه الألفاظ لا ينظر إليها خارجة عن النظم.

واتبع بديع الزمان النورسي سبيل الجرجاني وجعل نظريته ركناً من أركان منهجه التفسيري الشامل المتكامل بل أسّ أساس هذا المنهج، مصرحاً باسمه مراراً في رسائله. فالنورسي معترف بأنه سار في عمله على هدي من هذه الجهود المباركة وأن الفضل للمتقدم قائلًا: "إن منشأ نقوش البلاغة إنما هو نظم المعاني دون نظم اللفظ كما جرى عليه اللغزيون المتصلفون وصار حب اللفظ فيهم مرضاً مزمنًا إلى أن رد عليهم عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وحصر على المناظرة معهم أكثر من مائة صحيفة. ونظم المعاني عبارة من توخي المعاني النحوية فيما بين الكلمات. أي إذابة المعاني الحرفية بين الكلم لتحصيل النقوش الغريبة. وإن أعمت النظر لرأيت أن المجرى الطبيعي للأفكار والحسيات إنما هو نظم المعاني"<sup>(6)</sup>.

وهذا لا يعني أن الألفاظ ليس لها دور في الإعجاز القرآني، فبلاغة الإعجاز عند النورسي - وهو في ذلك يتبع الإمام الجرجاني - مبنية على ثلاث قواعد: اللفظ والمعنى والنظم. ولكن اللفظ لا يمكن أن يتصور في هذه الدائرة من دون النظر إلى المعنى ومن دون النظر إلى النظم الذي هو توخي المعاني النحوية ثم النظر إلى المسائل البلاغية والبيانية. ولهذا جعل بلاغة النظم على قسمين: "قسم كالحلية وقسم كالحلة. فالأول كاللآلي المثورة والزينة المنشورة والنقش المرصع، ومعدنه الذي يتحصل منه هو توخي المعاني

4- نفس المصدر، ص 394.

5- نفس المصدر، ص 393.

6- بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر،

القاهرة، الطبعة الخامسة، 2008م، ص 118.

النحوية الحرفية فيما بين الكلم كإذابة الذهب بين أحجار فضة؛ وثمرات هذا النوع هي اللطائف التي تعهد بيانها فن المعاني. والقسم الثاني هو كلباس عال وحلة فاخرة قدت من أسلوب على مقدار قامات المعاني وخيطة من قطع خيطاً منتظماً فيلبس على قامة المعنى أو القصة أو الغرض دفعة وصناع هذا القسم والمتكفل به فن البيان"<sup>(7)</sup>.

مهما يكن من أمر فإن النورسي أولاً وقبل كل شيء أراد أن يطبق هذه النظرية في تفسير آي القرآن الكريم؛ ففي المرحلة الأولى من مراحل حياته - المسمى هو فيها بسعيد القديم - وتقريباً سنة 1913م شرع في كتابة مصنفه الشهير في تفسير القرآن إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز حيث كان يتناول المصحف ويبدأ في الشرح دون الاستشهاد بغير القرآن في التفسير<sup>(8)</sup> وهو في هذا الأثر المبارك يصرح باسم الجرجاني مراراً<sup>(9)</sup> وفي المقدمة وقبل أن يشرع في تفسير الفاتحة يأتي بغاية التأليف ويقول: "إن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز القرآن لأن الإعجاز يتجلى من نظمه وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم"<sup>(10)</sup>.

والجرجاني نفسه لم يأت بنظريته من لا شيء. ولو استعرضنا فكرة النظم لرأينا بذورها فيها كتبه النحاة والبلاغيون ومؤلفو كتب إعجاز القرآن. وكذلك نجد من غير العرب من عني بهذه الفكرة كأرسطو في فن الشعر<sup>(11)</sup>. وعند ملة الإسلام بدأت هذه النظرية تتطور عبر العصور، فنجد البحث عند ابن قتيبة والباقلاني وعبد الجبار المعتزلي والخطابي ونجد أن عبد القاهر الجرجاني أفاد مما كتبه هؤلاء فائدة كبرى<sup>(12)</sup>. ثم إن النورسي آتاه الله خيراً كثيراً، فلم ينحصر عمله فيما أتى به الجرجاني من بيان نظرية النظم

7- نفس المصدر، ص 113.

8- شكران واحدة، الإسلام في تركيا الحديثة: بديع الزمان النورسي، ترجمة عن الإنجليزية: محمد فاضل، المراجعة: إحسان قاسم الصالح، 2007م، ص 171-172.

9- بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، الصفحات: 113 التي نقل النورسي فيها عن الجرجاني قسماً من فصل في مواقع التمثيل وتأثيره و 179 و 187 وأشار فيها إلى بعض طرق الإعجاز ورأى الجرجاني في أن قدرة البشر لا تصل إلى درجة نظم القرآن و 125 و 118.

10- نفس المصدر، ص 23.

11- ينظر: أرسطو، فن الشعر، ترجمة وتقديم وتعليق: إبراهيم حماده، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ص 189-192، وحاتم الضامن، نظرية النظم، دار الحرية، بغداد، 1979م، ص 5.

12- ينظر: وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1982م، الصفحتان 58 و 63.

والمسائل البلاغية المذكورة في علم البيان، هذه المسائل التي بحث عنها الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، بل حاول أن يوسع هذه النظرية بالإتيان بجوانب أخرى متعددة ترتبط بها، فهو يرى أن النظم القرآني هو الوجه الأول والأظهر من وجوه إعجاز القرآن الكريم<sup>(13)</sup> وهذا النظم له صلة وثيقة بالمقاصد الأساسية في القرآن؛ بل لهذه المقاصد أيضًا نظم خاص، هذا من جانب، ومن جانب آخر كل آية لها نظم خاص بها كما أن لكل سورة نظمًا وهكذا بين سورة وسورة، حتى نستطيع أن نقول إن القرآن ككل له نظم، وإنه نزل لتقرير المقاصد الأساسية المذكورة، فلا تجد فيه سورة ولا آية ولا كلمة إلا وفيها بيان لهذه المقاصد. وفيما يأتي نبحت عن جوانب هامة من التفسير البلاغي عند النورسي، يمكن أن يقال إنها تفصيل لنظرية النظم عند الجرجاني.

#### 1- نظم المقاصد في القرآن:

يرى النورسي أن القرآن نزل لإثبات مقاصد أساسية هي مقتضى الحكمة الإلهية وهذه "العناصر الأصلية، أربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة"<sup>(14)</sup> والمراد من نظم المقاصد أن القرآن يتوخى هذه العناصر مجتمعة لا ينفك بعضها عن بعض، فلا تجد سورة ولا آية بل ولا كلمة إلا وهي مضمنة هذه العناصر الأصلية. فعند النورسي "كما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، كذلك قد تتجلى في سورة سورة بل قد يلمح بها في كلام كلام بل قد يرمز إليها في كلمة كلمة. لأن كل جزء فجزء كالمراة لكل فكل متصاعداً. كما أن يترأى في جزء فجزء متسلسلاً. ولهذا النكتة، أعني اشتراك الجزء مع الكل، يعرف القرآن المشخص كالكلي ذي الجزئيات"<sup>(15)</sup>. ففي كل كلمة من هذا الذكر معنى من التوحيد والنبوة والحشر والعدالة، كما أن القرآن كله صورة واضحة لكل من هذه الأمور ولمجموع هذه الأمور أيضًا. وعلى هذا ليس النظم عند النورسي توخي المعاني النحوية في الجمل مع ما فيها من الحلل البلاغية فقط بل هو توخي هذه المقاصد الأساسية أيضًا، وكأنك ترى أنها متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

ثم في تفسير البسملة والحمدلة يشير النورسي إلى هذه المنظومة من المقاصد ويقول: "إن قلت: أرني هذه المقاصد الأربعة في زأ بپ وفي ژپ بپ، قلت: لما أنزل زأ بپ لتعليم العباد، كان "قل" مقدرًا فيه، وهو الأم في تقدير الأقوال القرآنية. فعلى هذا تكون في "قل" إشارة إلى الرسالة وفي زأ بپ

13- أحمد خالد شكري، بحوث في الإعجاز والتفسير في رسائل النور، موقع النور الألكتروني، ص 15.

14- بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص 23.

15- نفس المصدر، ص 24.





الفاجر الغدار في غاية التنعم، ويمر عمره في غاية الطيب والراحة. ثم نرى المظلوم الفقير المتدين الحسن الخلق ينقضي عمره في غاية الزحمة والذلة والمظلومية، ثم يجيء الموت فيساوي بينهما. وهذه المساواة بلا نهاية تُرى ظلماً. والعدالة والحكمة الإلهيتان اللتان شهدت عليهما الكائنات منزهتان عن الظلم، فلا بد من مجمع آخر ليرى الأول جزاءه والثاني ثوابه فيتجلى العدالة الإلهية<sup>(23)</sup>.

وهكذا يبحث النورسي عن نظم المقاصد الأساسية في الجملات القرآنية ويثبت جانباً آخر من إعجاز كلام الله. وهو كما أشرنا لم يتم تفسيره للقرآن وكتابه إشارات الإعجاز يشتمل على تفسير الفاتحة وثلاث وثلاثين آية من سورة البقرة فقط، ولو قدر له تكميل تفسيره على هذا المنهج، لأننى بشيء كثير في هذا المجال. ولأن التفسير عند النورسي عملية متشعبة كثيرة الوجوه ولأنه لم يؤلف تفسيراً كاملاً مترابطاً يسير وفق منهج محدد، نرى أنه يشير إلى هذا النظم الدائر بين المقاصد إشارات سريعة من دون كثير توقف، لأنه يريد أن يشير إلى كثير مما في الآيات ولا كله من دقائق النكت وبدائع الإشارات ولكنه يبقي المجال مفتوحاً للآخرين، لأن نظرتَه إلى التفسير نظرة شمولية وهو يقترح أن تكون لجنة من كبار العلماء المتخصصين تقوم بدراسة مستفيضة شاملة في كل جوانب القرآن الكريم.

## 2- نظم الخيوط المترابطة دوائر النظم:

لا ينحصر النظم في نظر النورسي في الجمل المنفردة فقط، والدليل واضح عنده: فالقرآن وإن اشتمل على سورٍ والسور على آيات، ولكن بما أن هذا الكتاب ينظر إليه ككلٍ يصور لنا المقاصد الأساسية، ينبغي أن لا تنفصل أجزاءه. فالسور والآيات كالخطوط المتشابكة المترابطة فكل آية كما أنها مرتبطة بسابقتها ولاحقتها، فكذلك ترتبط بمجموع القرآن وفي آية واحدة أيضاً كل جملة لها ارتباط بما قبلها وبما بعدها، هذا وفي هيات الجمل أيضاً أنواع مختلفة من النظم المعجز. ففي تفسير سورة الفاتحة يبين النورسي هذا النوع من النظم عندما يتحدث عن **رُفَّ فُ قُ قُ**، فالآية لها ارتباط وثيق بالآيات الأخرى من نفس السورة. يقول: "اعلم أن نظم درر القرآن ليس بخيط واحد بل النظم في كثيرٍ نقوش تحصل من نسج خطوط نسب متفاوتة قريباً وبعداً، ظهوراً وخفاءً، لأن أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقش. مثلاً **رُفَّ فُ قُ قُ** يناسب: **رُفَّ فُ قُ قُ** لأن النعمة قرينة الحمد. و**رُفَّ فُ قُ قُ** لأن كمال التربية بترادف النعم. و**رُفَّ فُ قُ قُ** لأن المنعم عليهم أعني الأنبياء والشهداء والصالحين رحمة للعالمين ومثال ظاهر للرحمة. و**رُفَّ فُ قُ قُ** لأن الدين هو النعمة الكاملة. و**رُفَّ فُ قُ قُ** لأنهم الأئمة في العبادة. و**رُفَّ فُ قُ قُ** لأنهم الموفقون. و**رُفَّ فُ قُ قُ** لأنهم الأسوة بسرر □

23- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص 66.





للاعتراض - اليهودُ وأهل النفاق والشرك فتحتمقوا وقالوا: أيتنزل الله تعالى مع عظمته إلى البحث عن هذه الأمور الخسيسة التي يستحي من بحثها أهل الكمال؟ فضرب القرآن بهذه الآية ضرباً على أفواههم. وأما نظمها بالقياس إلى سوابقها، فاعلم أن القرآن لما أثبت النبوة بالإعجاز، والإعجاز بالتحدي، والتحدي بسكوتهم. وكذلك أثبت في رأس السورة أن القرآن مشتمل على صفات عالية ومزايا كاملة لا تجتمع في كلام؛ سكنوا في نقطة التحدي حتى لم ينبض لهم عرق عصبية لكن اعترضوا وغالطوا في نقطة كماله وقالوا إن التمثيل في أمثال ثب ب ب ب ب و ژف ف قث من الأمور العادية سبب لنزلة درجة الكلام فيشبه المحاورة العادية بين الناس. فالقرآن ألقمهم حجراً وأفحمهم بهذه الآية" (32).

ثم يأتي النورسي بشرح مفصل لبيان شبهات المنكرين وأوهامهم المتسلسلة التي مبناها مغالطات. وبعد ذلك يأتي بشرح واف لبيان النظم الموجود بين الجمل مبيناً "أن كل واحدة من هذه الجمل كما أنها كشافة لسابقتها، كذلك مفسرة بلاحتها كأنها دليل للسابقة، نتيجة للائحة" (33).

فانظر كيف نسج النورسي من هذه الخطوط المعنوية من المناسبات والارتباطات هذا النقش الإعجازي الرائع الذي يبهر العقول ويغريها ويغرق الحواس والإحساس في بحر جمالية القرآن. ويأتي النورسي بأمثلة أخرى من هذا القبيل (34)، كل ذلك مبني على هذا الوجه المعجز الذي يراه النورسي الوجه الأول والأهم في إعجاز القرآن. ثم إن هذا النقش المنسوج من الخيوط المتداخلة المتشابكة ليس ذلك النقش البسيط الموجود في جملة واحدة من دون نظر إلى غيرها، والنورسي يشير إلى هذه المسألة إشارة خاطفة حينها يقول: "لأن أساس الإعجاز بعد الإيجاز هذا النقش" (35)، فالنقش ههنا في المرتبة الثانية بعد الإيجاز. ويقول في محل آخر: "... إشارة إلى نهاية الإيجاز الذي هو ثاني أساسي الإعجاز" (36) والأساس الأول هناك نقش النظم الموجود في الجمل والعبارات. ومعلوم أن ذلك، نقش بسيط بالنسبة إلى نظم الخيوط المترابطة. فلا يخفى أن النورسي أتم وحسن نظرية الجرجاني وهذا هو معنى الإكمال.

### 3 - نظم الفذلكات:

32- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص 202.

33- نفس المصدر، ص 211.

34- انظر: بدیع الزمان سعید النورسي، الكلمات، ص 150-151.

35- بدیع الزمان سعید النورسي، إشارات الإعجاز، ص 34.

36- نفس المصدر، ص 43.











المختلفة والتقسيمات المتعددة، إذ أنها متوجهة إلى المطاعن الواردة على القرآن الكريم غالباً<sup>(58)</sup>. ولعل الزمخشري في تفسير الآيتين: **زَيِّدٌ زُرِّيٌّ زُرِّيٌّ زُرِّيٌّ زُرِّيٌّ زُرِّيٌّ** كز (59)، أجل أهم الآراء المذكورة للمفسرين حينها قال: "فإن قلت: كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها. فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتح بما افتتحت به صاحبها وأن تختتم بما اختتمت به. ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان، ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فكوثر بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذناً أو يفتق ذهنًا أو يصقل عقلاً طال عهده بالصقل أو يجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصدأ"<sup>(60)</sup>.

ولا شك أن النورسي كان متأثراً من القدماء في حديثه عن التكرار فإنه يقول في المعجزات الأهمية: "اعلم أن القرآن لأنه كتاب ذكر وكتاب دعاء وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم وليس كما ظنه القاصرون، إذ الذكر يكرر والدعاء يردد والدعوة تؤكد. إذ في تكرير الذكر تنوير وفي ترديد الدعاء تقرير وفي تكرار الدعوة تأكيد... فتكرار الآيات والكلمات إذن للدلالة على تكرر الاحتياج وللإشارة إلى شدة الاحتياج إليها ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه، وللتشويق على الاحتياج ولتحريك اشتهاه الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية"<sup>(61)</sup>.

ولا بد أن نشير إلى أن النورسي يجعل التكرار أحياناً ضمن دوائر النظم المتشابهة. فالآية الكريمة **زُرِّيٌّ زُرِّيٌّ ك ك ك** كز تتكرر ثماني مرات في سورة الشعراء، وواضح أنها من الفذلكات

58- ينظر على سبيل المثال: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم

حقائق الإعجاز، مطبعة المتوقف، القاهرة، 1914م، المجلد الثالث، ص 443-445.

59- سورة الشعراء، الآيتان: 190-191.

60- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيجا، دار المعرفة، بيروت، 2009م، ج 2، ص 769.

61- بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، شركة سوزلر، القاهرة، الطبعة الخامسة،

2008م، ص 261 والمنثوي العربي النوري، ص 70 و 189.



يعد هذا المصطلح من أهم المفاهيم المذكورة في إشارات الإعجاز والذي لم يسبق إليه أحد قبل النورسي. ولعله كان وجهًا مهمًا من وجوه التسمية لكتابه أيضًا، فإن عنوان الكتاب كاملاً هو: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، فالإيجاز - كما علمنا - له دور هام في المنهج التفسيري المتكامل عند النورسي ويأتي في المرتبة الثانية بعد النظم في وجوه الإعجاز عنده.

والمراد من إرسال النظم، أن القرآن في كثير من العبارات لم يضع أمانة على وجهٍ خاص من وجوه التراكيب نظرًا لاختلاف أحوال المخاطبين. يقول النورسي: "اعلم أن القرآن أرسل النظم أي لم يعين بوضع أمانة وجهًا من وجوه التراكيب في كثير من أمثال هذه الآية لسرِّ لطيف هو منشأ الإيجاز الذي هو منشأ الإعجاز، وهو أن البلاغة هي مطابقة مقتضى الحال، والحال أن المخاطبين بالقرآن على طبقات متفاوتة وفي أعصار مختلفة. فلمراعاة هذه الطبقات، ولمجاورة هذه الأعصار، ليستفيد مخاطب كل نوع ما قُدِّر له من حصته، حذف القرآن في كثير للتعميم والتوزيع، وأطلق في كثير للتشميل والتقسيم، وأرسل النظم في كثير لتكثير الوجوه وتضمن الاحتمالات المستحسنة في نظر البلاغة والمقبولة عند العلم العربي ليفيض على كل ذهن بمقدار ذوقه" (66).

فكل آية في القرآن - كما أشرنا إليه سابقًا - مرتبط بسابقتها وفي كثير من الآيات تعتبر في هذا الارتباط خيوط متعددة مناسبة ولكن من دون وضع أمارات وعلامات، رعاية لجانب الإيجاز الذي يلازم النظم في جميع الأحوال. ففي تفسير آية: **ثُ ثُ ثُ ف ف ف ف ف ف ف ف** (67)، اعتبر النورسي في علاقتها بسابقتها أربعة أوجه: التخصيص بعد التعميم والتنقيص والتلويح والتفصيل بعد الإجمال. يقول: "ثم إن وجه نظم هذه الآية بسابقتها: التخصيص بعد التعميم ليعلن على رؤوس الأشهاد شرف من آمن من أهل الكتاب وليرد يد استغناء أهله في أفواههم وليأخذ يد أمثال "عبدالله بن سلام" ويشوق غيره لأن يأتيهم به. وأيضًا التنقيص على قسمي المتقين للتصريح بشمول هداية القرآن لكافة الأمم. والتلويح لعموم رسالة محمد عليه السلام لقاطبة الملل. وأيضًا التفصيل بعد الإجمال لشرح أركان الإيمان المندمجة في صدف **ثُ ثُ** إذ دل على الكتب والقيام صراحةً وعلى الرسل والملائكة ضمناً" (68). فليعتبر كل مخاطب ماشاء مما يليق بحاله من هذه الاعتبارات المختلفة.

66- بدیع الزمان النورسی، إشارات الإعجاز، ص 56.

67- سورة البقرة، الآية: 4.

68- بدیع الزمان النورسی، إشارات الإعجاز، ص 56.

وهكذا نرى إشارات أخرى إلى هذا الأمر - وإن كان تفسير النورسي للقرآن لا يتجاوز سورة الفاتحة وثلاثين آية من البقرة - ففي آية: **ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج ج** (69) أشار إلى أن هذا الاستيناف يمكن أن يكون جواباً لثلاثة أسئلة مقدرة: السؤال عن المثال والسؤال عن العلة والسؤال عن نتيجة الهداية وثمرتها والنعمة واللذة فيها(70).

#### خاتمة البحث:

يمكن أن نلخص نتائج هذا البحث فيما يلي:

- 1- يقوم منهج بديع الزمان النورسي في التفسير وبيان إعجاز القرآن على أساس نظرية النظم التي اخترعها الجرجاني. فحاول تطبيقها في تفسير الآيات في كتابه القيم إشارات الإعجاز واتجهت جهوده أيضًا في تفصيل هذه النظرية حتى نستطيع أن نقول إنها عنده أحسن وأتم مما عند الجرجاني.
- 2- ربط النورسي نظرية النظم في القرآن بنظم المقاصد. فالقرآن نزل لإثبات مقاصد أساسية وعناصر أصلية هي: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة؛ والقرآن يتوخى هذه المقاصد مجتمعة من دون انفكاك في كل الآيات والسور. فنظم المعاني عنده يتلازم نظم المقاصد.
- 3- النظم القرآني عند النورسي لا ينحصر في خيط واحد فقط، بل هو نقوش تحصل من نسج خطوط متشابكة قريبًا وبعدًا. فالآية لها ارتباط وثيق بسابقتها كما لها ارتباطات بسائر الآي من نفس السورة.
- 4- إن للفواصل القرآنية - في الاتجاه النورسي - سرًا عظيمًا وأسلوبًا بديعًا. فهي من جانب تتضمن المقاصد الأساسية في القرآن، ومن جانب آخر تدخل في دوائر متشابكة من النظم القرآني.
- 5- يرى النورسي أن للتكرار جهات ومقامات مختلفة، ونظم التكرار له علاقة وثيقة مع نظم المقاصد في القرآن. وكل ما نرى من الألفاظ المكررة يتوخى معنى معينًا واقعًا في سلسلة نظم المعاني.
- 6- يعد "إرسال النظم" من المصطلحات الجديدة في كتاب إشارات الإعجاز بمعنى أن القرآن لم يضع أمانة على وجه خاص من وجوه التراكيب في كثير من الآيات الكريمة نظرًا لاختلاف أحوال المخاطبين. فأوجز القرآن وحذف ليتبادر ذهن كل مخاطب إلى ما يليق بحاله. فنستطيع

69- سورة البقرة، الآية: 5.

70- بديع الزمان النورسي، إشارات الإعجاز، ص 68-69.

أن نقدر في نظم آية وارتباطها مع سابقتها وجوهاً مختلفةً.

**Badi' al-Zamān al-Nūrsī and the Theory of Coherence and Symmetry  
(Nazm).**

The coherence and symmetry of Qur'ān has been considered the first pillar in appreciating the miraculous status of the Qur'ān by Badi' al-Zamān al-Nūrsī. He was greatly fascinated with 'Abd al-Qāhir al-Jurjānī while developing his theory. In his work *'Ishārāt al-'Ijāz (Allusions to the miraculous status of the Qur'ān)*, Nūrsī tries to apply this theory in the interpretation of Qurānic verses, without strictly confirming to the framework provided by al-Jurjānī. He expanded this framework and developed the concept of Qur'ānic symmetry and coherence in his own way.

The coherence and symmetry is not limited to some sentences in the view of Nūrsī, but extends to a wider realm; he noted and highlighted coherence the Qurānic intentions, the coherence in the related lines, and that which is displayed in the repetitive statements/ narrations of the Qur'ān.

\*\*\*\*